القنفذةُ في كتاباتِ الرحَّالةِ جون فيلبي

"١٣٥٥-١٣٥٦هـ /١٩٣٦-١٩٣٧م "

إعدادُ

ليلى عبدالكَريم عبد اللّه

استاذ مساعد تاريخ حديث ومعاصر

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

جامعة الباحة

المملكة العربية السعودية

القنفذةُ في كتاباتِ الرحَّالةِ جون فيلبي "١٣٥٥-١٣٥٦هـ /١٩٣٦-١٩٣٧م "

ليلى عبدالكَريم عبد اللّه
قسم التاريخ الحديث والمعاصر كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة الباحة المملكة العربية السعودية.
البريد الإلكتروني: Mm2zz2@hotmail.com

ملخص البحث:

يهدف البحث الموسوم بـ"القنفذة في كتابات الرحالة جون فيلبي١٣٥٥-١٣٥٦هـ /١٩٣٦-١٩٣٧م " إلى استجلاء تلك الفترة، وإلقاء الضوء على تاريخ محافظة القنفذة، وتحليل معلوماته تحليلاً تاريخياً من خلال آراء الرحالة فيلبي الذي تناول عرضاً لملاحظاته ومشاهداته عن هذه المحافظة في مدونات تحتوي على أوضاع مدن شبه الجزيرة العربية سياسياً واقتصادياً وجغرافياً، ومن خلال استعراضه لمحافظة القنفذة في كتابه مرتفعات الجزيرة العربية. تمكنا من فهم الموقع الاستراتيجي للمحافظة ومكانتها سياسياً واقتصادياً لمنطقة الحجاز، ورسم صورة معمارية واضحة وجامعة – نوعًا ما– للمحافظة على المستويين الحضري والمعماري؛ وذلك بالاستناد فقط على طروحات الرحَّالة فيلبي الذي زار المدينة خلال تلك الفترة، وكتب عنها.

وقد انتظمت الدراسة في ثلاثة مباحث، تناول الأول منه نشأة وحياة الرحالة فيلبي، والثاني أهمية محافظة القنفذة تسميتها، وموقعها ونشأتها، وبداية تاريخها، وأما المبحث الثالث فقد سلط الضوء على وصف محافظة القنفذة في رحلة فيلبي، ثم ختم البحث بعرض لأهم النتائج التي توصلت إليها.

الكلمات المفاتيحية: المستشرقين – الطراز المعماري – القنفذة –الرحالة– موانئ شرق البحر الأحمر.

Al- Qunfudhah in the writings of the traveler John Philby 1936-1937

Laila Abdul Karim Abdullah
Department of Modern and Contemporary History, College of Arts and Humanities, Al-Baha University, Saudi Arabia.
Email: Mm2zz2@hotmail.com

Abstract: The topic "Al- Qunfudhah in the writings of the traveler John Philby 1936-1937" aims to explore that period, shed light on the history of Qunfudhah and analyze its information historically through Philby's opinions who dealt with his views and observations on this town in records that contain the situations of Arabia's towns politically, economically and geographically. Through his review of Qunfudhah in his book " Arabian Highlands ", we were able to know the strategic location of the town and its political and economic position in relation to Hejaz and to draw a clear and inclusive picture to maintain both the urban and architectural levels based on proposals of traveler Philby who visited and wrote on the town during that period.

This topic consists of three sections; the first deals with childhood and life of Philby, the second on the importance of Qunfudhah, its name, its rise and location, and beginning of its history, while the third one highlights the description of Qunfudhah in Philby's travel, and concluded with main findings.

Keywords:-
Orientalists- Architecture- Qunfudhah- Travelers- Ports of eastern Red Sea.

المقدِّمة

من المعروف أن منطقة شبه الجزيرة العربية أكثر المناطق التي استقطبت الرحَّالة الأجانب. وقد حظيت منطقة الحجاز وموانئ البحر الأحمر في القرنين ١٣-١٤هـ/ ١٩-٢٠م. بزيارات لعدد كبير من الرحَّالة الشرقيين والغربيين. وتُعد الكتابات التي دوَّنها الرحَّالة الأوربيون من المصادر المهمة في تدوين تاريخ المناطق التي زاروها. وكان من بين هذه الرحلات للرحَّالة الذين زاروا محافظة القنفذة، وتحدثوا عنها من خلال الملاحظة والمعايشة في رؤية منهجية نستطيع من خلالها التعرف أكثر عن هذه المدينة من حيث عاداتها، وتقاليدها، من منظور يستطيع فيها الحصول على مدوّنات عما كانت عليه محافظة القنفذة سياسيًا واقتصاديًا واجتماعيًا من عادات وتقاليد وقيم اجتماعية دُوِّنت من قِبل أبنائها، ونتمكن من خلالها إجراء مقارنة بين النصوص للتأكد من مصداقية ما دوّن لدى الرحَّالة عن البلدة، ونحن وإن نحاول إعادة قراءة النصوص الاستشراقية التي تحدثت عن القنفذة، من خلال منهج بحث علمي رصين قائم على تحليل تاريخي؛ نستطيع من خلاله أن نحكم على هذه المدوّنات الاستشراقية بالصواب أو عدمه. وقد زار القنفذة العديد من الرحَّالة من أمثال هاري سانت جون فيلبي، وك. س. تويتشل، ولفرد ثسيجر، وأُعجب بها الكثير وكتبوا عنها، وكانت هذه الزيارات قد أخذت طابعًا رسميًا أو غير رسمي سيطر عليها مدى قدرة الرحَّالة على الاختلاط بالمجتمعات بصورة عامة والمجتمع الساحلي بصورة خاصة في وقت زيارتهم. وتفرَّد هاري سانت جون فيلبي عن جميع الرحَّالة الذين قدِموا إلى الجزيرة العربية في التاريخ الحديث والمعاصر، بغزارة مؤلفاته عن شبه الجزيرة العربية وتاريخها؛ فظلَّ يتنقل بين ربوعها أكثر من أربعين عامًا. مما مكَّنه وبتأييد من الملك عبدالعزيز أن يجمع المعلومات الغزيرة عن كل المناطق التي زارها، وعندما دان بالإسلام أصبح من المقرَّبين للملك عبدالعزيز حتى إنه أرسله في عدد من المهامّ الخاصة داخل وخارج البلاد. ويتّصف فيلبي بخبرة واسعة في تقديم الدراسات لتاريخ المملكة العربية السعودية فتراه دقيق الملاحظة لكل منطقة

يذكرها، فكانت مشاهداته وانطباعاته وما ارتسم في ذهنه صورة حيَّة عن محافظة القنفذة، فيأتي لذكر السمات العامة لتضاريسها ومناخها، وأشجارها ونباتها، وحيواناتها. ومقارنة الأحوال المناخية في كل منطقة، مع تدوين تفاصيل الطرق والمسالك للقرى والأرياف. وإعطاء وصف لسكان المناطق التي زارها، وكيف كانوا يتكيفون في مساكنهم وملابسهم وطعامهم وشرابهم مع ظروف المناخ، واختلاف التضاريس. ويعدُّ كِتابه" Arabian Highlands مرتفعات الجزيرة العربية" من أهمّ مؤلفاته وأعظمها، سجَّل مشاهداته في جنوب غربي المملكة العربية السعودية خلال عام ١٣٥٥-١٣٥٦هـ/١٩٣٦-١٩٣٧م، التي شملت المناطق الممتدة من السليل شرقًا وحتى البحر الأحمر غربًا، ومن مكة المكرمة شمالاً وحتى الحدود اليمنية جنوبًا. كما نوَّه إلى طبيعة الأودية والجبال والوِهاد على طول الطريق من القحمة إلى بلدتي القنفذة والليث؛ لذلك تم اختيار موضوع البحث لدراسة محافظة القنفذة في كتابات الرحَّالة فيلبي، والتي تُعدُّ من المصادر المهمة التي ترفد المؤرخ والباحث بمعلوماتها القيمة من خلال هذا الكتاب.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث كمحاولة بسيطة للكشف عن أهم مدوّنات الرحَّالة التي تناولت مجتمع القنفذة، عبر مرحلة من مراحل تاريخ شبه الجزيرة العربية، والتي لا يمكن أن نجدها مدوّنة إلا في كتب الرحَّالة الذين زاروا القنفذة، وعبَّروا عن رأيهم فيه مع تتبّع جزئيات النص المتعلق بالمحافظة، لأنها ركَّزت على ما رآه بأمِّ عينيهِ من مشاهد يكاد ينفرد بها.

أهداف الدراسة:

- إن الهدف من كتابة هذا البحث هو عدم وجود دراسة أكاديمية تطرَّقت إلى بلدة القنفذة من خلال كتابات الرحَّالة.
- يهدف هذا البحث الموسوم بـ"القنفذة في كتابات الرحَّالة جون فيلبي١٣٥٥-١٣٥٦هـ /١٩٣٦-١٩٣٧م " إلى استجلاء تلك الفترة،

وإلقاء الضوء على تاريخ محافظة القنفذة، وتحليل معلوماته تحليلًا تاريخيًا.

- معرفة آراء الرحَّالة جون فيلبي في المجتمع بمحافظة القنفذة من خلال مدوّناته التي عبَّرت عن رأيه فيها.
- رسم صورة معمارية واضحة وجامعة – نوعًا ما– للمحافظة على المستويين الحضري والمعماري؛ وذلك بالاستناد فقط على طروحات الرحَّالة فيلبي الذي زار المدينة خلال تلك الفترة، وكتب عنها.

منهجُ البحْثِ:

المنهج الذي نتَّبعه في هذه الدراسة سيكون على النحو التالي:

اعتمدت الدراسة على منهج تاريخي قائم على الوصف والتحليل؛ فقد تمَّ التقاط المعلومات المتناثرة في كتب الرحلات والتاريخ لدى بعض المصادر المحلية. واجتهدتِ الباحثةُ في محاولة تتبُّع ورصد المتشابه من الأخبار، والخروج بمضمون يساعد على تحقيق الهدف من هذه الدراسة.

الدراساتُ السابقةُ:

شملت عدة دراسات تضمنت مؤشرات مهمة في رسم الصورة للمحافظة على المستويين الحضاري والمعماري، ومن أهمِّ هذه الكتب:-

- قصة عبدالله فيلبي من وثائق المخابرات البريطانية ١٩٢٩-١٩٤٨م، نقلها للعربية حسن ساعاتي ؛حيث جمع في الكتاب الوثائق الخاصة عن قصة حياة فيلبي ونشأته، وموقفه تجاه بريطانيا وسياستها في الشرق الأوسط، كما يتحدث عن الملك عبدالعزيز والعرب، وأسرار الاتفاقية السعودية: الفرنسية، وتهاون بريطانيا الأولي تجاه وحدة المملكة، ومفاوضات النِّفط، ولماذا انحاز فيلبي للشركة الأمريكية؟
- واتجهت دراسة غيثان بن علي بن جريس في كتابه بلاد القنفذة خلال خمسة قرون ١٠-١٥هـ/ ١٦-٢١م، إلى تناول القنفذة جغرافيًا وبشريًا في القسم الأول من الكتاب، والقسم الثاني الأوضاع السياسية والإدارية،

والقسم الثالث بلاد القنفذة في عيون الرحَّالة المسلمين وغير المسلمين، ثم أفرد القسم الرابع عن فهرس لأهمِّ الوثائق والبحوث غير المنشورة عن بلاد القنفذة في مكتبة المؤلف، وقد تمّت الاستفادة من القسم الثالث: بلاد القنفذة في عيون الرحَّالة المسلمين وغير المسلمين.

- سميرة بنت مبارك بن علي بلسود موانئ تِهامة و مراسيها: (الليث/ القنفذة/ حلي/ البرك/ القحمة/ الشقيق/ جازان ١١٧٩-١٣٥١هـ/١٧٦٥-١٩٣٢م). أوردت في الفصل الأول موقع تِهامة وأهميتها، والفصل الثاني الأطماع الخارجية في موانئ تهامة و مراسيها وموقف القوى المحلية منها. والفصل الثالث التحركات السياسية والعسكرية وأثرها على موانئ تهامة و مراسيها، ثم جاء الفصل الرابع يتحدث عن الدور التجاري لموانئ تهامة و مراسيها. وقد تمّت الاستفادة من بعض الموضوعات بالفصل الرابع.
- هاري سانت جون فيلبي كتاب مرتفعات الجزيرة العربية ويقع الكتاب في ستة أبواب تحتوي على ثلاثة وثلاثين فصلًا، اشتملت على وصف الأجزاء الجنوبية الغربية من الجزيرة العربية، ابتداءً من الطائف إلى بيشة وأبها وخميس مشيط وما حولها . ثم نجران، وجازان، وأخيرًا البلاد الساحلية الممتدة من جازان إلى مكة وجدة. وقد تمت الاستفادة من الفصل الثالث والثلاثين من الباب السادس الذي جاء فيه وصفٌ لمحافظة القنفذة.

مشكلةُ البحثِ:

عدم توفّر صورة معمارية واضحة و جامعة- نوعًا ما- لمحافظة القنفذة خلال القرن ١٤هـ/ ٢٠م، تستند في رسمها على طروحات أبرز الرحَّالة الأجانب الذين زاروا المدينة خلال تلك الفترة.

حدودُ البحثِ:

-الحدود الزمنية: ١٣٥٥هـ /١٩٣٦م

-الحدود المكانية: محافظة القنفذة.

فرضيةُ البحثِ:

- بالإمكان رسم صورة معمارية محدودة وواضحة وجامعة -إلى حد ما- لمحافظة القنفذة خلال العهد السعودي والحركة التجارية التي كانت سائدة خلال ١٤هـ /٢٠م؛ وذلك بالاعتماد على طروحات الرحَّالة فيلبي الذي زار المدينة خلال تلك الفترة وكتب عنها.

مسارُ الدراسةِ:

اقتضت طبيعة الدراسة إلى تقسيمها إلى ثلاثة مباحث:

المبْحَث الأول: التعريف بالرحَّالة هاري سانت جون فيلبي (H. St. J. B. Philby)

(حياته – رحلته – كتابه)

المبْحَث الثاني: أهمية محافظة القنفذة

(التسمية والنشأة)

المبْحَث الثالث: وصف محافظة القنفذة في رحلة فيلبي.

خاتمة: ثم ختمت الدراسة بخاتمة تحوي تلخيصًا لمحتوى الدراسة، وبعض النتائج التي تمَّ التوصل إليها.

الملاحق: تضمُّ الخرائط والصور.

المبْحَث الأول

التعريف بالرحَّالة هاري سانت جون فيلبي (H. St. J. B. Philby)

(حياته - رحلته – كتابه)

يُـدعى اختصـارًا جـاك أو عبـدالله فيلبـي إنجليـزي الجنسـية، وُلـد في١٨جمادى الآخرة١٣٠٢هـ – ٣أبريل ١٨٨٥ م في سيلان (سري لانكا)؛ حيث كان يعمل والده في تجارة القهوة، وتُوفي عام ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م. وقد أكمل تعليمه في إنجلترا، ثم عمل بعد تخرُّجه لدى حكومة الهند البريطانية بالهند، وهناك أتقن العديد من اللغات ومنها اللغة العربية؛ مما خوَّله أن يلتحق بالبعثة البريطانية في البصرة عام ١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م، ثم عمل مساعدًا للقائد العام للقوات البريطانية المتمركزة في بغداد في ذلك الوقت، وفي عام ١٣٣٥هـ– ١٩١٧م التحق بالعمل في وزارة الخارجية البريطانية، كما أُوفد في مهمة خاصة إلى الجزيرة العربية على رأس بعثة نجْد التي تشكلت لمقابلة الملك عبدالعزيز والتباحث معه في بعض الأمور المتعلقة بالحرب العالمية الأولى، وعلاقته ببريطانيا، وهناك تعرّف عن قرب على الملك عبدالعزيز وأعجب به، وأعلن إسلامه، وتوثقت علاقته بالملك عبدالعزيز، وأصبح مستشارًا شخصيًا له، ورافقه في أسفاره[١]، ومن ثَمَّ تمتع بحظوة عند الملك عبدالعزيز الذي جعله كبير مستشاريه للعلاقات البريطانية والدول الغربية، بما فيها العلاقات الاقتصادية[٢]. وتفرَّد فيلبي عن جميع الرحَّالة الذين قدِموا إلى

(١) H. Saint John Philby، (٢٠١٧). الموسوعة البريطانية .نسخة محفوظة . على الموقع https://www.britannica.com/biography/H-Saint-John-Philby؛ كثيرًا ما كان فيلبي يقدم مشورته السياسية للملك عبدالعزيز إزاء كيفية مواصلة تحقيق حلم توحيد المملكة العربية السعودية من دون إثارة حفيظة بريطانيا التي كانت في تلك الفترة القوة المهيمنة على مقدرات الشرق الأوسط.

(٢) قدم فيلبي دورًا لتسهيل عملية التنقيب عن النفط في المملكة عبر شركات أميركية على رأسها ستاندار أويل أوف كاليفورنيا. قصة عبدالله فيلبي من وثائق المخابرات =

الجزيرة العربية في التاريخ الحديث والمعاصر، وذلك لغزارة مؤلفاته عن شبه الجزيرة العربية وتاريخها فظلَّ يتنقل بين ربوعها أكثر من أربعين عامًا مما مكَّنه وبتأييد من الملك عبدالعزيز أن يجمع المعلومات الغزيرة عن كل المناطق التي زارها(١). وقد ترك لنا عددًا من المؤلفات والمقالات المتنوعة في عناوينها، ودُوّنت بلغته اللغة الإنجليزية، وتُرجم بعضها إلى اللغة العربية وتتصف مؤلفاته بالعمق في التحليل والتدوين، وكان من أهم مؤلفاته كتاب مرتفعات الجزيرة العربية(٢). وسوف نقتصر في هذه الدراسة على عرض فيلبي لمحافظة القنفذة من خلال كتابه مرتفعات الجزيرة العربية.

=
البريطانية ١٩٢٩-١٩٤٨م، نقلها للعربية ساعاتي، حسن (٢٠١٤م). جداول للنشر، بيروت، ط١، ص(١٢).

(١) الجاسر، حمد (١٤٠٩-١٤١٠هـ) "مقال بعنوان رحلات عن البلاد العربية "مجلة العرب عام ، مج (٢٤)، ص(١٠٥- ١٠٨) ؛ جورج رنتز" فيلبي مؤرخًا للمملكة العربية السعودية" ترجمة وتعليق حسين محمد الغامدي ،مجلة الدرعية، السنة الأولى، عدد ٢- ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ص(٦١-٦٤).

(٢) وضع العديد من المؤلفات التي قدمت جزيرة العرب بصورتها الناصعة للعالم كله، منها كتاب - قلب الجزيرة العربية- تاريخ الحجاز المعاصر -الجزيرة العربية -الربع الخالي -النقوش في نجران- ثلاثة نقوش في حضرموت -أيام عربية -الذكرى العربية -أرض مدين، أربعون عامًا في الفقر، صفقات الزيت العربي - مرتفعات الجزيرة العربية كما كتب عدة كتب عن الآثار بالجزيرة العربية من أشهرها أرض الأنبياء، ومدْين، وكتب عن اليمن بنات سبأ. جريس، غيثان بن علي (٢٠٠٦). جنوب السعودية في كتاب مرتفعات الجزيرة العربية لهاري سانت جون فيلبي، نادي أبها الأدبي، مج ٤٨، أبها، ص (٢٠).

(Arabian Highlands)[١]

ويقع الكتاب في ستة أبواب تحتوي على (٣٣) فصلًا، خصّص لكل باب منطقة جغرافية، ولكل فصل بلدة من جنوبي المملكة العربية السعودية، وشاملة الحديث عن أغلب مناطق جنوبي المملكة العربية السعودية، ابتداءً من الطائف إلى بيشة وأبها وخميس مشيط وما حولها، ثم نجران، وجازان، وأخيرًا البلاد الساحلية الممتدة من جازان إلى مكة وجدة[٢]. ويحتوي الباب الأول على ثلاثة فصول ناقش فيها فيلبي رحلته من أطراف الرَّبع الخالي الشمالية الغربية إلى مكة المكرمة، ذكر في الفصل الأول ما يلي الرَّبع الخالي، ودوَّن مشاهدات في وادي السليل، وبلاد الدواسر من قرى وهجر، وذكر بعض النباتات وبعض الطيور. واقتصر الحديث بالفصلين الثاني والثالث على مدينة بيشة، وأهم الأودية ومصبَّاتها مثل أودية بيشة، ورنية، وتربة. مع ذكر أهمية بيشة التجارية وعلاقتها الاقتصادية مع جاورها من البلدان مثل اليمن، وعسير، والحجاز. والمناطق التي تقع شمالها حتى مكة المكرمة في حج عام١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م. وتمَّ في هذا اللقاء توجيه الملك عبدالعزيز لفيلبي زيارة منطقة جنوب المملكة، والوقوف على مواقع الحدود التي رسمت بين حكومتي اليمن والسعودية في عام ١٣٥٢هـ /١٩٣٤م[٣].

---

(١) قامت على نشره جمعية الشرق الأوسط في واشنطن دي. سي، ويقع في (٧٧١) صفحة باللغة الإنجليزية، كما يقع في مجلدين كبيرين باللغة العربية، وعدد صفحاتهما (١٤٤٩) ترجمة وطباعة ونشر مكتبة العبيكان عام (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م)؛ مقال " فيلبي الرحَّالة البريطاني" المجلة العربي، العدد (٥٢٣)، أبريل ٢٠٢٠ م-شعبان ١٤٤١ هـ، الرياض.

(٢) فيلبي، هاري سانت جون(٢٠٠٥). مرتفعات الجزيرة العربية، تعريب حسن مصطفى حسن، مراجعة جريس، غيثان بن علي، ،الرياض جـ١،ط١،العبيكان ، ص (٢٨-١٤٨).

(٣) فيلبي، هاري سانت جون(٢٠٠٥). المصدر نفسه، جـ٢، ص(٦١٩) وما بعدها.

وهذه كانت أحد أهم أهداف الملك عبدالعزيز الاستفادة من الدراسات التي يقدمها الرحَّالة ويقيس نظرتهم عن الأوضاع السائدة هناك خصوصًا وأن فيلبي رجل السياسة الأول. أما الفصول من الخامس حتى العاشر فقد شملت دراسة المناطق الشرقية الرئيسة لبلاد السروات. والباب الثالث، بعنوان بلاد يام، ويحتوي على ستة فصول، وقد اشتملت جميعها على تاريخ وحضارة نجران في القديم والحديث. والباب الرابع والموسوم بـ"الهضبة المرتفعة"، ويشتمل على سبعة فصول، من فصول الكتاب الرئيسة، الباب الخامس بعنوان مرتفعات تِهامة يحتوي على خمسة فصول، أما الباب السادس والأخير فهو ما يخصُّنا في موضوع هذه الدراسة، هو الفصل الثالث والثلاثون من الباب، وأشار إلى تفصيلات قيّمة عن الطريق الساحلي الذي يربط بين مكة المكرمة وجازان، والإشارة لبعض المراكز الحضارية على هذا الطريق مثل: صبيا، وبيش، والدرب، والقحمة، والبرك، وحلي، والليث، والقنفذة، ويقع وصف محافظة القنفذة في (٥٩) صفحة من الكتاب [١]. ويظهر من خلال هذا المؤلف الدعم اللامحدود من قِبل الملك عبدالعزيز وتسهيل جميع مهماته، وحثّ رجال حكومته في جميع المناطق والمدن التي زارها الرحَّالة توفير جميع مطالبه وحسن استضافته، وظهر ذلك جليًا من خلال حديث فيلبي في كتابته؛ حيث كان يشيد بلقاء رجال الملك عبدالعزيز في الإدارات الحكومية في المناطق التي زارها، وكيفية استضافتهم له.

(١) المصدر السابق، جـ٢، ص(٨٩٩)؛ مقال بعنوان "الحاج عبدالله فيلبي في رحلة الحج ومشاهداته في أرض المعجزات"، عبدالله بن حمد الحقيل، صحيفة الجزيرة، العدد ١٤٦٣٨ الجمعة ١٠ذو الحجة ١٤٣٣هـ -٢٦-١٠-٢٠١٢.

المبْحَث الثاني
أهميةُ محافظةِ القنفذةِ
(التسميةُ والنشأةُ)

أهميةُ محافظةِ القنفذةِ

حظيت القنفذة وما جاورها لدى الرحَّالة بنصيب وافر من الوصف والدراسة والتحليل؛ نظرًا لما لديها من أهمية تاريخية واقتصادية. شأنها في ذلك شأن بقية الموانئ الواقعة على الشاطئ الغربي والشرقي في البحر الأحمر؛ إذ كانت هذه الموانئ بمثابة الوعاء الذي تصبّ فيه البضائع المتنوعة سواء من الداخل أو الخارج. ولعبت دورًا مهما في الحياة العامة بتِهامة والحجاز، وغدت بوابتها البحرية، وموقعها المتميز على درب الحُجّاج، وبالرغم من الحملات العسكرية التي انطلقت منها أو إليها أيام الدولة العثمانية، واعتبرت بلدة عسكرية وقاعدة لشنِّ الحملات العثمانية على عسير واليمن، إلا أنها شهدت حركة تجارية دائبة، وبخاصة في منتصف القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي. بل إنها أسهمت كميناء شرق البحر الأحمر في إثراء الحياة التجارية في منطقتها وخارجها ، لدرجة أن سُمّي أحد أسماء الشوارع بمكة المكرمة بها، واسم زاوية القنفذة على جزء من أرقى مواقع النشاط التجاري بقلب مدينة جدة ، وهي نقطة تجمُّع تجار وتجارة "القنفذة" المكونة من البضائع إلى مدينة جدة[1].وحتى عندما عقد الملك عبد العزيز العزم على إغلاق بعض الموانئ لخطورتها، أبقى على القنفذة؛ لتؤدي دورها التجاري والأمني على البحر الأحمر، كما اقتصر الملك عبدالعزيز على بعض الموانئ التي تؤدي الدور التجاري والاقتصادي على شرق البحر الأحمر وإغلاق البعض؛ نظرًا لما تشكّله بعض الموانئ من مخاطر على الناحية السياسية والأمنية وعمليات تهريب

(١) الفقيه، حسن إبراهيم وآخرون (١٤١٧هـ). أضواء على كلية المعلمين بالقنفذة، الأربعاء إصدار إعلامي بمناسبة زيارة معالي وزير المعارف أ.د محمد بن أحمد الرشيد.

الأسلحة، فأمر الملك عبدالعزيز بإغلاقها كميناء الشقيق[١] والبرك[٢]، والاقتصار على موانئ القنفذة والليث[٣] وحلي[٤] وجازان [٥]. وقد نظَّم الملك عبدالعزيز بعد ذلك؛ ربما بعد الدراسة الوافيه لفيلبي لبلدة القنفذة تنظيمًا كبيرًا،

(١) الشقيق: بفتح أوله وكسر ثانية، ويقال شقيق الشيء أحد جزأيه، وهي مدينة تقع جنوبي غربي في المملكة العربية السعودية، على ساحل تبعد عن جازان ١٥٠كم وتتبع إداريًا جازان. البلادي، عاتق بن غيث (١٩٨٤). بين مكة واليمن رحلات ومشاهدات، مكة المكرمة، ط١، دار مكة للنشر والتوزيع، ص(٢٣٥).

(٢) البِرْكُ:بكسر الباء، وسكون الراء ثم كاف، يقول عنها الحموي: "بِرْك الغَمِاد"؛ الحموي، أبو عبدالله ياقوت(١٩٨٤). معجم البلدان، بيروت، دار صادر،ج٤، ص(٤٤٧). وتبعد عن جنوب القنفذة بـ(١٢٠)كم، وتعد من إمارات مكة وتتبع إداريًا للقنفذة. العقيلي، محمد أحمد(١٩٦٩). المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية –مقاطعة جازان – المخلاف السليماني، الرياض ، دار اليمامة، ج١، د. ط ص(٣٧).

(٣) اللِّيث: ميناء يقع عند مصب وادي الليث مما يلي البحر الأحمر مباشرة، وتقع جنوب جدة بحوالي ٢٠٠كيلاً، فهي إمارة تابعة لمكة. البلادي، عاتق بن غيث (١٩٨٤)، بين مكة و اليمن، مرجع سبق ذكره، ص(٣٠).

(٤) حَلْي: بالفتح ثم بالسكون، تقع على ساحل البحر الأحمر، ومدينة حلي من المدن التاريخية، إذ تميزت بمرحلة إزهار على الساحل الشرقي للبحر الأحمر، وبها ميناء جنوب ميناء القنفذة. تاميزية، موريس (١٨٣٤). رحلة في بلاد العرب الحملة المصرية على عسير؛ ترجمة وتعليق آل زلفة، محمد بن عبدالله (١٩٩٤)، ط١، مطابع الشريف، ص(١٥٨).

(٥) المعبدي، مبارك محمد الحرشني(١٩٩٣) النشاط التجاري لميناء جدة خلال الحكم العثماني ١٢٥٦هـ/١٨٤٠م-١٣٣٥هـ/١٩٢٦م، جدة، النادي الثقافي الأدبي، ط١، ص(١٨٨).

حيث عيّن بها مديرًا، ورئيسًا للكتابات، وأمين صندوق ومحاسبًا. وفي ذلك ما يؤكد أهمية موانئ تِهامة و مراسيها من امتداد العهد السعودي(١).

أولاً: التسمية والنشأة:

– القُنْفُذة بضم القاف المثنّاة، والفاء وإسكان النون وفتح الدال المهملة، بعدها التاء المربوطة على النطق العام، وقد شاع إعجام الذال على ألسنة بعض المتعلمين، وفي بعض الكتابات المتأخرة، وفي بعض المؤلفات القديمة يرِد الاسم بإهمال الدال(٢).

أما سبب تسمية القنفذة بهذا الاسم فهناك العديد من الآراء المختلفة التي ناقشت سبب التسمية، فالبعض يقول: إنها منسوبة لنوع من القنافذ التي شاع تواجدها ببلدة القنفذة قديمً(٣). وهناك رأي يقول بأنه يشاع اسم القنفذة يعود إلى أن أول من جعل مسكنًا له في تلك البلدة امرأة تسمى (القنفذة)، وزيد على ذلك أن زوجها يدعى "البندر" فسميت البلدة "بندر القنفذة (٤). وربما يكون المقصد بالبندر في اللغة: مربط السفن على الساحل، أو المدينة البحرية، أو المرسى، وهي كلمة فارسية (٥)، وقد قيل إنها سُميت بذلك بعد غزو الجراكسة ودخول

(١) الأنصاري، عبدالرحمن ، وآخرون، (١٤١٩). المواصلات والاتصالات في المملكة العربية السعودية خلال مِئة عام، دراسة توثيقيه، الرياض، مطابع التريكي د. ط، ج٢، ص(١٥٧).

(٢) البلادي، عاتق بن غيث (١٩٨٤). بين مكة واليمن، مرجع سبق ذكره، ص(١٢٣)، مقال بعنوان "القنفذة مدينة وتاريخ" حسن إبراهيم الفقيه، مجلة الفيصل، عدد (٥٢) ص(٣٩).

(٣) ابن منظور، محمد. لسان العرب، تحقيق شيري، علي(١٩٨٨)، بيروت، دار إحياء التراث العربي،١١ /٣٢٥مادة(قنفذ).

(٤) البلادي، عاتق بن غيث (١٩٨٤)،بين مكة واليمن،مرجع سبق ذكره، ص(١٢٣)؛ المنجد في اللغة :مادة بندر، بيروت، دار المشرق، ط٢٤،د.ت، ص(٥٣).

(٥) البلادي، المرجع السابق، ص(١٢٤).

العثمانيين لجنوب الجزيرة العربية. وقد ورد مسمى بالبندر عند بعض المؤرخين، حيث ذكروا اسم بندر عادة على المدن الساحلية، فيقال بندر عدن، وبندر جدة، وبندر جازان، وغيرها [١].

وأوردها النهروالي عند الحديث عن عزل رضوان باشا وبروزه من اليمن بقولة:"وخرج من بندر القنفذة وتوجه منها إلى مكة المكرمة ودخلها في أواسط محرم الحرام سنة خمس وسبعين وتسعمئة". وربما هذا الراجح أن تسميتها بندر القنفذة جاء بعد ظهور الدولة العثمانية وامتداد نفوذها إلى الشرق الإسلامي، وأصبح يطلق هذا المصطلح على المدن البحرية فيقال: بندر جدة، بندر القنفذة. وهذا دليل على أن بلدة القنفذة اكتسبت أهمية ومكانة جعلها تكتسب هذه التسمية (البندر) أسوة ببندر جدة وبندر عدن[٢].

وتقع القنفذة على ساحل البحر الأحمر في الجنوب الشرقي، وتحديدًا في الجنوب الغربي من المملكة العربية السعودية وفي الوسط التهامي بين جازان جنوبًا ومكة المكرمة وجدة شمالًا، وتنحصر بين خط طول (٤١,٥)شرقًا ودائرة عرض (١٩,٨)شمالاً[٣]. وتمتد حدودها من الليث جنوبًا إلى ما وراء حلي بقليل، ويحدّها من الشرق سفوح جبال السروات الغربية التي يقيم بها بعض العشائر التابعة لقبائل الحجر السروية، وأجزاء من ديار غامد وزهران، تبعد

(١) العصامي، عبدالملك بن حسين(د.ت) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، مصر، ج٤، د.ط، المطبعة السلفية، ص٤٦٧.

(٢) النهروالي، قطب الدين محمد أحمد(١٩٦٧). البرق اليماني في الفتح العثماني، الرياض، دار اليمامة، ط١، ص (٩١٧ –٩٩٠).

(٣) الشريف، عبدالرحمن صادق(١٩٨٤).جغرافية المملكة العربية السعودية ،الرياض، دار المريخ ،٢٥٢/١، ٢٢٦.

عن جدة بمسافة (٣٢٠) كيلومتر جوًا، و(٧٥) كيلومترًا برًا، وعلى بعد (٣٤٤) كيلومترًا تقريبًا من جنوب مكة المكرمة [١].

وقد ذكر المؤرخون من خلال كتاباتهم عن تاريخ القنفذة في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، أن بلدة القنفذة كانت تتبع إداريًا إمارة الحجاز التي مقرها مكة المكرمة، وتتخذها مكة قاعدة أساسية للحملات والصراعات الداخلية التي كانت بين أشراف مكة، أو قوات معادية تأتي من جنوب منطقة القنفذة من اليمن وبلاد عسير [٢].

النَّشأة:

لم يرد اسم القنفذة صريحًا، ولكن ذكر وادي قنونا[٣]، وبذلك يكون الوادي نواة نستدل به على وجود القنفذة في القرن الثامن الهجري، فذكر الأنصاري في أحداث سنة ٧١٧هـ/١٣١٧م وفاة أحد علماء اليمن المشهورين حين عودته من الحج في قرية تعرف بـ"قنونا" في أول المحرم"[٤]. والثابت في كثير من كتب التاريخ الإسلامي أن موقعها اليوم يقع عند مصبّ وادي قنونا في البحر، وكان اسمها بلدة أو قرية قنونا [٥]. كما وردت نواة بلدة القنفذة كانت موجودة قبل القرن التاسع الهجري [٦]. وصار أهل اليمن وأهل سواكن يجلبون الذُّرة إليها

(١) البلادي، عاتق بن غيث (١٩٨٤)،بين مكة واليمن، مرجع سبق ذكره، ص(١٢١)؛ انظر الملحق رقم (١).

(٢) المصدر السابق، ص(١٣١).

(٣) قنونا: وادٍ بتهامة يقع في العرضية الجنوبية شرق القنفذة . البلادي، عاتق بن غيث (١٩٨٤)، بين مكة واليمن، مرجع سبق ذكره، ص(١٤٧).

(٤) بن جريس، غيثان بن علي (٢٠١١). بلاد القنفذة خلال خمسة قرون (ق١٠-١٥هـ)، الرياض، ط١، مطابع الحميضي، ص(١٠٦).

(٥) الحموي، ياقوت (١٩٨٤). معجم البلدان، جـ٤، ص(٤٠٩).

(٦) الأنصاري، أبو الحسن عي بن الحسن (١٩١٤). العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، القاهرة، مطبعة الهلال: تحقيق: محمد بسيوني (د. ط): ص(١٧٢).

من قرية يقال لها "قنونا" بقرب حلي، ومنها أيضًا يجلب ذلك إلى مكة المكرمة، وما عرفت أن مثل هذه القرية الصغيرة تمير أهل اليمن وسواكن" وبهذه ظهرت نواة اسمها أن القرية المضافة إلى اسم (قنونا) الوادي التهامي الشهير هي بلدة القنفذة [١]. أما أول ذكر لمسمى بلدة القنفذة ورد في القرن العاشر الهجري-السادس عشر الميلادي، في حادثة مقتل قاضي مكة أبي السعود بن ظهيرة غريقًا فيها بأمر من الشريف بركات عندما علم بخيانته. وربما لأنها كانت تمثل قاعدة عسكرية لمنطقة الحجاز، وكان في يوم الأحد الثاني من ذي الحجة سنة سبع و تسعمئة [٢]. ومما يدل على تبعية القنفذة للحجاز خلال القرن الحادي عشر الهجري، ترجمة القاضي عبدالواحد الأنصاري حاكم القنفذة، والتي جاء فيها أنه: "كان رئيس القنفذة وما والاها من أرض الحجاز لا تصدر أمورها إلا عن رأيه "[٣]. ومما يدل على أهمية مكانتها السياسية والاقتصادية والعسكرية تردد أشراف مكة عليها. ويقول النهروالي في وصف تبعية القنفذة سياسيًا وإداريًا لمكة المكرمة: "وخرج من بندر القنفذة – رضوان باشا-وتوجه إلى مكة المكرمة ودخلها في أواسط محرم سنة خمس وسبعين وتسعمئة"[٤]. ويتضح من ذلك أن بلدة القنفذة نفسها كانت تستمد نفوذها السياسي والإداري من أمراء مكة المكرمة؛ أما الموانئ البعيدة عنها مثل: دوقة، القنفذة، وحلي، والبرك كانت تحت طاعة أمر المشايخ وأعيانها،

(١) الأزرقي، محمد بن عبدالله بن أحمد (١٩٨٣).أخبار مكة المشرفة، بيروت ،مج١-٢، تحقيق رشدي الصالح ملحس،ط٣، دار الأندلس، ج٢، ص(٣٢٠).

(٢) بن جريس، غيثان بن علي (٢٠١١). بلاد القنفذة خلال خمسة قرون، مرجع سبق ذكره، ص (١٠٧).

(٣) العصامي ، عبدالملك بن حسين(د.ت)، سمط، ج٤، ص(٤٣٧-٤٧٦).

(٤) النهروالي، قطب الدين محمد(١٩٦٧). البرق اليماني، ص(٩١٧) ومابعدها.

ويتم التحالف عن طريقهم مع أمراء مكة في حال فقدان الأمن وانتشار الفوضى[١].

كما تبدو الصلة وقوة الاتصال بين القنفذة ومكة المكرمة، من خلال استخدام رضوان أغا للوسائط النقلية المتوفرة بالقنفذة مع مثيلاتها من جدة والمدينة سنة ١٠٣٩هـ/١٦٣٠م، لمهمة نقل أحمال مخلفات السيل الذي دخل الحرم [٢].

لقد كان لموقع القنفذة على مصب وادي قنونا في البحر الأحمر أهمية خاصة حيث لعبت دورًا تاريخيًا على الصعيد السياسي، ونجد عددًا من المصادر العربية تذكر حروب عبدالوهاب المتحمي مع الأشراف، وبعض القبائل لهم في نواحي القنفذة مثل: دوقة، الأحسبة، وحلي، استطاعت من خلالها جيوش المتحمي إدخال عموم بلاد تهامة من الليث حتى تهامة عسير تحت نفوذهم، واتخذت كقاعدة رئيسية للقوات العسيرية للقضاء على قوات الشريف غالب[٣] في مكة، وأصبحت تحت لواء الدولة السعودية الأولى. وتذمرت الدولة العثمانية من انتصارات الدولة السعودية الأولى في نجد

(١) السباعي، أحمد(١٩٩٤). تأريخ مكة دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران، مكة المكرمة، ج١، ط٧، مطابع الصفا، نادي مكة الثقافي، جـ٢، ص(٣٦٩).

(٢) الأزرقي، محمد بن عبدالله، أخبار مكة المشرفة، (١٩٨٣)، مج١-٢،ص(٣٥٦-٣٥٧).

(٣) الشريف غالب: من ذوي زيد، تولى منصب الشرافة من عام١٢٠٢-١٢٢٨هـ/ ١٧٨٨-١٨١٣م عزله محمد علي باشا وإرساله لإسطنبول ثم نفي إلى سالونيك وتوفي مصاب بالطاعون دو كورانسيه، لويس ألكسندر أوليفيه، تاريخ الوهابيين منذ نشأتهم حتى عام ١٨٠٩م ،ترجمة البقاعي، محمد خير (١٤٢٤هـ) ،(د. ط)، ،دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ص٦٠،وثيقة رقم ٣٤٥/١٩٦٨٤- A "بشأن عزل الشريف غالب وإرساله إلى مصر، وتعيين الشريف يحيى بن سرور أميرًا على مكة المكرمة ، تاريخ ١٢٢٨/٧/١هـ ،الوثائق العثمانية ،دارة الملك عبدالعزيز ، الرياض.

والحجاز وعسير، بل ازداد خوفهم بعد سيطرتهم على منطقة الحجاز، كلفوا في حينها حاكم مصر، محمد علي باشا بمحاربتهم [١].

وأصبحت مركزًا لشنّ الحملات التركية في زمن الحروب التي قامت ضد سراة عسير وما فعله جنوده من فضائع في تقتيل أهالي القنفذة[٢]، وأصبحت بلدة القنفذة هي الثغر الرئيس لهم فهي تربط بين مراكزهم وإدارتهم الرئيسة في عموم منطقة عسير، وبين الحجاز والشام ومصر والأستانة[٣]. نظرًا لأهميتها الاستراتيجية عسكريًا وتجاريًا، مع عدم الاهتمام بتعميرها أو إصلاحها[٤]. ومن ثم خضعت للدولة الإدريسية في صبيا في عام ١٣٣٤هـ/١٩١٥م عقد الإدريسي صداقة مع بريطانيا كي تحميه وتدافع عنه. وأبرم معاهدة رسمية معها في عام ١٣٣٤هـ/١٩١٥م، وجددت عام ١٣٣٦هـ/١٩١٧م.واعترفت له بريطانيا بالسيادة على تهامة من ميناء اللحية جنوبًا إل القنفذة شمالًا، مقابل عدم عقد الإدريسي أيّ معاهدة سياسية أو تجارية مع دولة أخرى دون علمها[٥]. وأصبحت محطًا لكثير من العناصر البشرية القادمة من الجنوب بعد ذلك، حتى أصبحت القنفذة واحدة من أبرز المدن على الساحل. ونعِمت

(١) السباعي، أحمد(١٩٩٤). تأريخ مكة، ج٢، ص (٤٨٧،٤٤٨).

(٢) شاكر، محمود (د.ت). شبه جزيرة العرب، عسير، (د. ط، د.م)، ص(١٦٠-١٧٤).

(٣) بلسود، سميرة مبارك(٢٠٠٩). موانئ تهامة ومراسيها (الليث /القنفذة /حلي /البرك /القحمة /الشقيق /جازان) ١١٧٩-١٣٥١هـ/١٧٦٥-١٩٣٢م.
دراسة تاريخية حضارية"، مكة المكرمة، ط١، نادي مكة الثقافي الأدبي، ص (٢٥٦) وما بعدها.

(٤) ابن مسفر، عبدالله، (١٩٧٨م) السراج المنير في سيرة أمراء عسير، ط١،مؤسسة الرسالة، بيروت. ص(١٠٦).

(٥) جون، بولدرن (د.ت) العمليات البحرية البريطانية ضد اليمن إبان الحكم التركي (١٩١٤-١٩٩٩م) ، القاهرة. ترجمة السيد مصطفى سالم، المطبعة الفنية"، ص (١٨-١٩).

بالازدهار والأمان والاستقرار في العهد السعودي، وكان لذلك أثره على الجانبين التجاري والحضاري، وصار لمينائها شهرة تضاهي كثيرًا من الموانئ الساحلية المعاصرة لها في ذلك الوقت. ومن خلال ما ذكرناه نجد أن ميناء بلدة القنفذة في القرن الثالث عشر-الرابع عشر الهجري /التاسع عشر – العشرين الميلادي. احتل مركزًا بارزًا على ساحل البحر الأحمر؛ حيث قامت محافظة القنفذة بأدوار سياسية، وحربية، وعسكرية، وتجارية. استطاع الموقع الجغرافي وطبيعته بين موانئ شرق البحر الأحمر أن يؤثر إلى حد كبير في توزيع تلك الأدوار والنشاطات التي أظهرت أهمية تلك الموانئ و المراسي خلال القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي.

المبْحَث الثّالثُ

وصْفُ مُحافَظةِ القنفذةِ في رحلةِ فيلبي

أولاً: الحياةُ الاقتصاديةُ لبلدةِ القنفذةِ:

(السُّوق – التّجارة)

تحدث فيلبي عند وصفه لبلدة القنفذة عن أهم جوانب التراث الحضاري، وهو التراث العمراني الذي تعتزّ به كل أمّةٍ، لما يبرزه من صور أصيلة عن حضارتها، ولكونه ترجمة صادقة للبلدة. وقد جاء في كتابه وصف عن الطراز المعماري للبلدة كالبيوت والقصر الحكومي، والمساجد، وسوق البلدة، وتُعدّ هذه من أهم العناصر الرئيسة للتراث العمراني، ولا تنفصل بأي شكل من الأشكال عن المعطيات الحضارية والاجتماعية والاقتصادية التي أثّرت فيها، ولاعن إنسان هذه الأرض الذي طورها وانعكست فيها عاداته وتقاليده وقِيَمه الدينية والاجتماعية. كما أن الظروف البيئية بشقيها الطبيعي والبشري أثّرت تأثيرًا مباشرًا في العمارة والتخطيط. وسيتم استعراض التراث العمراني والعمارة التقليدية لبلدة القنفذة من خلال رحلة فيلبي والتركيز على العناصر الثلاثة للتراث العمراني بصورة عامة بما يخدم الموضوع. ومن أهم الموضوعات كذلك والتي ذكرها فيلبي في حديثه عن بلدة القنفذة إشارة للموضوعات الاقتصادية والمالية في كتابه، فلا تخلو أي منطقة زارها من التفصيلات لبعض الجوانب الاقتصادية. حيث كانت التجارة من أهم المهن التي يمارسها السكان في البلدة، فقد ذكر تردد التُّجار الهنود و الحضارمة إليها، كما يوجد مندوبون للتُّجار الأوربيين المقيمين في جدة، وتوقف فيلبي كثيرًا مع بعض الأسواق الرئيسة بحديث غير مباشر عندما ذكر وادي قنونا في سياق حديثه عن الأماكن التي يترددون منها وإليها، وكما هو معروف بأن سوق حباشة الذي يقع في وادي قنونا وكلمة حباشة نسبة إلى الحبش؛ والحبشة وتعني لُغويًا

جنس من السودان[١]. ووصف حركة التعامل التجاري في تلك الأسواق، وتواجد ممثلي الدولة وسير الحركة التجارية في هذه الأسواق بيسر وسهولة، وتأثر سوق مدينة القنفذة على ساحل البحر الأحمر بالرسوم الحكومية العالية على تجارة المدينة [٢]. وذكر هذا الرحَّالة الرُّسوم التي كانت تتقاضاها الدولة على واردات المنطقة من اليمن، بخاصة واردات البُنّ حيث تصل الرسوم المفروضة إلى ٥٠% من قيمة السلع. وبيَّن أن دخل الدولة السنوي للدولة من هذه التجارة يصل إلى حوالي (٧٠٠٠) ريال فرنسي سنويًا [٣].

وتعريجًا على وصف فيلبي عن السوق والحركة التجارية لبلدة القنفذة، نذكر بأنه أوجدت حكومة الحجاز في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي التعليمات لضبط وتنظيم أموال التجار، في دخولها الحجاز وخروجها منه؛ وبخاصة مينائي جدة والقنفذة وغيرها من الموانئ مستفيدة بذلك من العوائد الجمركية الملزمة على التجار. وقد أُوكل لكل ميناء من موانئ تهامة أمينٌ للجمرك، حيث كان من المهامّ الأساسية الموكّلة إليه تحصيل الرسوم والضرائب، إضافة إلى وجود كاتب للجمرك مهمته تسجيل الرسوم المقررة على البضائع، وكان كاتب الجمرك وموظفها تعيينه يكون من

(١) النهروالي، قطب الدين محمد(١٩٦٧)، البرق اليماني، ص(١٧٤)؛ أورد الأزرقي في كتابة أخبار مكة عن سوق حباشة ما نصه :"حباشة سوق الأزد وهي ديار الأوصام من بارق من صدر قنونى وحلي من ناحية اليمن وهي من مكة على ست ليالٍ، وهي آخر سوق خربت من أسواق الجاهلية، وكان والي مكة يستعمل عليها رجلا يخرج معه بجند فيقيمون بها ثلاثة أيام من أول رجب متتالية." الأزرقي: تاريخ مكة، جـ١، ص(١٩١).

(٢) والموقع قابع شرق القنفذة وتؤكد أكثر المصادر بأنه يقام في رجب من كل عام، ويقع تحديدًا في العرضية الشمالية. مقابلة مع السيدة فاطمة علي العمري–حلي– القنفذة– يوم الخميس ١٤٤١/٨/٢٩هـ.

(٣) فيلبي، هاري سانت جون(٢٠٠٥). مرتفعات الجزيرةالعربية، ج٢، ص (١١٣٩).

مجلس جدة [١]. ويسمى موظف وزن البضائع، كما يسمى محرر قوائم الوزن الوزن والسعر بالقباني [٢]. وقد أرسل محافظ القنفذة إلى محافظ جدة اقتراحًا مفاده لزوم إرسال البن الوارد من عسير إلى مكة عن طريق مينائي جدة والقنفذة، للمحافظة على عائدات هذين الجمركين [٣]. فكانت شونة القنفذة تمد اليمن بالغِلال، وأدّت دورًا مهمًا في ذلك. وقد ذكر فيلبي سوق بلدة القنفذة فيقول: "كان السوق في قمة نشاطه عندما مررنا به، ويبدو أنه غنيّ بالبضائع المحلية والمستوردة. كانت تجارة البلد في أيدي الهنود و الحضارمة، وقد قيل: إن هناك حوالي ثلاثين أسرة هندية، وخمسين أسرة حضرمية مقيمة في البلد تعتمد كلها على التجارة. ويمثل البيوت التجارية الأوربية القائمة في جدة مندوبون محليون لها هنا. كان بقية السكان العرب معظمهم مقيمون، جاؤوا من قرى مقاطعة وادي قنونا، وبلا شك تتخلّلهم عناصر من مناطق أبعد من ذلك"[٤]. ورغبةً لتنشيط التجارة في الحجاز، قد سمح لرؤساء السفن التجارية التي ترِد من الهند بحمل أغراض شخصية لا تؤخذ عليها الجمارك، ترغيبًا لهم في تنشيط حركة التجارة، والإتيان بها إلى موانئ الحجاز، ومن ضمنها مينائي القنفذة، والليث بطبيعة الحال [٥]. كما أن ميناء القنفذة قد خُصّص في عهد الملك عبدالعزيز لاستقبال الحجاج الهنود، وحُجّاج جنوب الجزيرة العربية ،وحجاج جنوب شرق آسيا ،وبخاصة الهنود، ولربما كانت نتيجة ذلك استقرار

(١) دار الوثائق القومية بالقاهرة: وثيقة رقم١٤، المؤرخة في ١٩ محرم ١٢٥٣هـ، دفتر رقم ١٥٦ تركي مجلس ملكية.

(٢) سليمان، عبدالحميد حامد (١٩٩٥). تاريخ الموانئ المصرية في العصر العثماني، القاهرة، د. ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص(١٥٧).

(٣) بلسود، سميرة مبارك(٢٠٠٩). موانئ تهامة ومراسيها، ص(٣٧).

(٤) فيلبي، هاري سانت جون(٢٠٠٥). مرتفعات الجزيرة العربية، ج ٢، ص(١٢٩٣).

(٥) الحلواني، سعد بدير(١٩٩٣). تجارة الحجاز (١٨١٢-١٨٤٠م)، د . ط (د. م، د . ن)، ص(١٠٤).

الأسر الهندية في المحافظة كما أشار إليها فيلبي، وقد لعب ميناء القنفذة والليث أيضًا دورًا مهمًا كبوابة بحَرية وجنوبية لمكة المكرمة؛ حيث أرسل الملك عبدالعزيز آل سعود -رحمه الله- برسالتين مؤرختين في عام ١٣٤٣هـ/١٩٢٤م، إلى كل من حاكم عَدن، وإلى رئيس جمعية الخِلافة في بومباي، يؤكد لهما استعداد مينائي "القنفذة" و"الليث" لاستقبال السفن الهندية . وفي ذلك ما يؤكد استمرارية عمل هذيْن الميناءين في العهد السعودي لخدمة الحجيج، وبالتالي استمرار الحركة التجارية فيهما [١]. وهذا ما يفسر لنا حديث فيلبي عن استقرار بعض الجاليات بمحافظة القنفذة استقرار للعائلات الهندية و الحضارمة في البلدة، وأن كثيرًا من العادات والتقاليد السائدة بالقنفذة قريبة الشَّبَه الكبير بعادات وتقاليد حضرموت [٢].

وكانت هناك أسواق أسبوعية تسمى باسم اليوم الذي تُعقد فيه مثل: سوق الأحد وسوق الثلاثاء وسوق الأربعاء. وكان موضع السوق خارج التجمعات السكانية لأسباب أمنية، وكل قبيلة أو قرية تحمي سوقها، كما تضم بلدة القنفذة العديد من القرى والتي يقع فيها السوق المحلي، ويسمى سوق الربوع-سوق الأربعاء- كقرية أم النور، و سواده، وكياد، والفقهاء بحكم تقاربها من بعضها. ويتكون السوق من ساحة مربعة واسعة وبه أكشاك مستطيلة مسقوفة بالتبن[٣].

(١) بلسود، سميرة مبارك(٢٠٠٩). موانئ تهامة ومراسيها، ص(٣٩).
(٢) فيلبي، هاري سانت جون(٢٠٠٥). مرتفعات الجزيرة العربية، جـ٢، ص(١٢٨٣).
(٣) المصدر السابق، ص(١٢٢٨)؛ مازالت تقام الأسواق في المحافظة فيوجد سوق الزيالعة، وسبب التسمية أغلب التجار فيه لقبهم الزيلعي؛ وسوق الخميس يقام في القوز التي تبعد نحو ٣٠كم ، وسوق الأحد في منطقة كياد تبعد عن القنفذة بنحو ٧٠كم، ويرجع تاريخه إلى أكثر من ٢٠٠عام، تعرض به الأقمشة والفواكه والخضروات وأنواع الحبوب وأنواع الأسماك والمواشي. مقابلة مع العم عمر مناجي الفقيه-القنفذة يوم الخميس ١٤٤١/٨/٢٩هـ، السيدة فاطمة علي العمري-حلي-القنفذة -يوم الخميس ١٤٤١/٨/٢٩هـ. انظر إلى الملحق رقم(٢).

ويستطرد فيلبي في وصف السوق قائلًا:" كان السوق في قمة نشاطه عندما مررنا به؟، ويبدو أنه غني بالبضائع المحلية والمستوردة، يختلط هذا الحرير مع الأناناس الياباني المعلب، مع البضائع التي تباع بالقطاعي، والمستورد من مانشستر، والخردوات المستوردة من برمنجهام وشفيلد، دون ذكر شيء عن المنتجات الألمانية والإيطالية وغيرهما من البلاد الأوربية. كانت تجارة البلدة في أيدي الهنود و الحضارمة، وقد قيل لي إن هنالك حوالي ثلاثين أسرة هندية وخمسين أسرة حضرمية مقيمة في البلدة وتعتمد على التجارة الغريب في الأمر، أنه لا يوجد أثر للإغريق ولا لليهود ولا أي عنصر أوروبي آخر، ويمثل البيوت التجارية الأوروبية القائمة في جدة مندوبون محليون لها هنا كان بقية السكان من العرب معظمهم مقيمون جاؤوا من قرى مقاطعة وادي قنونة. وهو شريان الحياة الرئيس في المقاطعة[١]. وقد كان ميناء القنفذة من أهم الموانئ التي ترد إليها الغلال والذخائر والمؤن، وذلك لوجود العساكر الحربية المرابطة فيه، ومن أهم الواردات التي ترد إليها من السلع المتنوعة مثل: العطورات، والطِّيب، والأقمشة، والغاز (الكيروسين)، والزيوت، السكر، والبنّ، والزنجبيل، والمصوغات الفضية والذهبية، والحلبة، والتوابل، والدقيق، والشاي[٢].

"وتمدُّ هذه الأودية بلدة القنفذة بكل ما تقوم بتصديره مقابل استيراد كل الكماليات والعديد من ضروريات الحياة، بالاسم، الأصواف والجلود، والزبدة، ونوعي الدخن والسمسم، تنقل هذه البضائع بمراكب الدهو الشراعية أو بالباخرة إلى جدة، والحديدة، أو عدن، حيث يتداولها تجار أكثر تأثيرًا لإرسالها إلى محطات وصول أخرى؛ حيث توجد قرى عديدة تقوم بإنتاج البنّ والتين والعسل

(١) فيلبي، هاري سانت جون(٢٠٠٥). مرتفعات الجزيرة العربية، جـ٢، ص(١٢٩٣).
(٢) المعبدي: مبارك محمد الحرشني(١٩٩٣) النشاط التجاري لميناء جدة خلال الحكم العثماني، ص(١٨٨).

إلى جانب الدخن، ومن غير المحتمل أن الثلاث المواد الأولى تدخل السوق على مستوى تجاري[١]. وكان من أثر الحركة الملاحية في موانئ تهامة ومراسيها والمتمثلة في التجارة، والقوات العسكرية، والحج أن انتعشت الأسواق، كما أدت عمليات التصدير و الاستيراد إلى زيادة الحركة في موانئ عسير وتهامة، مثل القنفذة و البرك. ويذكر فيلبي إضافات عن سور البرك القديم، وبعض الآثار الظاهرة للعيان من حول البلدة، وإلى تواجد بعض موظفي الميناء والجمارك الذين قابلهم في تلك الناحية[٢].

ثانيًا: تخطيطُ المدينةِ والتصميمُ العمراني:

أشار فيلبي إلى أنواع المنازل والمرافق المحيطة بها، وإلى نوعية مواد البناء، فوصف لنا الطرق المتبعة، والتي تعتمد على استخدام الحجارة أو الطين للمناطق المرتفعة من البلدة، أو القشّ والأخشاب في بناء أغلب البيوت؛ إن لم تكن كلها بهذه المادة وذلك لعدم توفر المادة الخام من الأحجار كما في مناطق نجران وعسير والباحة، إلى جانب حرصهم على توفير البرودة ومحاولة تلطيف الجو للمنازل، ويعد أفضلها هو مبنى الحكومة عند زيارته لأمير البلدة عبدالله بن مبارك، ولأن فيلبي كان مدعومًا من الملك عبدالعزيز آل سعود، فقد استطاع دخول الكثير من بيوت أهل المنطقة بجميع شرائحهم، وبالتالي تمكن من إعطاء تفصيلات دقيقة عن الأقسام الداخلية التي تتكون منها منازلهم، فأوضح تقسيم بعضها إلى عدة أقسام مثل قسم الضيوف عندما زار البلدة، وآخر كانت تستخدم من قِبل بعض المؤسسات الحكومية. وقدم لنا وصفًا عند زيارته لأمير البلدة عبدالله بن مبارك ومنزل الحكومة، فيقول:"لندخل إلى بلدة القنفذة خلال شارع متعرّج من العِشش. وصلنا إلى الجهة البحرية خلال خمس دقائق، وسرعان ما ترجّلنا عن الدوابّ عند مدخل منزل الحكومة، كان عبدالله

(١) فيلبي، هاري سانت جون(٢٠٠٥). المرجع السابق، ص(١٢٩٤).
(٢) فيلبي، هاري سانت جون(٢٠٠٥). المرجع السابق، ص(١٢٧٠).

بن مبارك –بعون الله ثم بإذن ابن سعود– أمير القنفذة يرأس المجلس حيث وصولنا، غير أنه أمر بانصراف حشد موكله وخصومه، وانصرف لقضاء حاجاتنا وتلبية مطالبنا، وقد نصحه بذلك عن طريق برقية وصلت إليه يوجهه إلى ذلك ...أعد منزلاً لضيافتنا أثناء ما كنا نحتسي القهوة مع الحاكم ونأكل التمر، وجدت نفسي عند الظهر داخل بناء إضافي من الخشب فوق سطح أحد المباني المبنية من الشعاب المرجانية، وهو أحد المباني التي تقع على امتداد الجبهة البحرية التي هي منتزه القنفذة، بينما شغل رفاقي الغرف في الطابقين أسفل مني، كان المنزل واحدًا من بين العديد التي تكون الجناح الإداري و التجاري ومقرّ سكن الطبقة الراقية، ويقع عند الطرف الشمالي للبلدة. كان هذا الجناح كثير الشبه مع جدة، ولكن على مقياس صغير، وكانت المنازل مبنية من بُلكّات شعاب مرجانية مربعة أصغر حجمًا من تلك التي تستخدم في جدة. تعرّجت البلدة وانتشرت من هذا التحصين من ناحية الشمال واتسعت جنوبًا إلى مسافة (٨٠٠) أو (٩٠٠) ياردة في مجموعات من العِشش المبنية من الوتل أو من سعف النخيل(١).

مما يوحي بالانطباع بأنها قرية كبيرة غير منتظمة أكثر منها بلدة، كانت عِشش القسم الأكثر فقرًا من السكان، على ضواحي القرية مهجورة وبائسة"(٢). ولا شك أن قرب المنطقة من الحضارة اليمنية وحضارات شرق إفريقيا كان له تأثير في إبراز الطابع المعماري وتعتبر "العِشة" التي تُبنى من مواد محلية الأكثر شيوعًا الذي يتّسم بتشابه بعض المفردات التصميمية مع تلك الواقعة

(١) المساكن في تهامة مؤلفة من دور واحد مكونة من بناء خفيف عبارة عن "العشة" وهي الغرفة الرئيسة التي تستخدم للجلوس واستقبال الضيوف والنوم في أوقات البرد. بالإضافة للمطبخ يبنى من حوائط طينية وبه موقد النار "المركب" والتنّور "الميفا" وزارة الشؤون البلدية والقروية، وكالة الوزارة لتخطيط المدن، التراث العمراني في المملكة العربية السعودية، شعبان ١٤٢٣هـ/أكتوبر ٢٠٠٢م، ص(١٧٤).

(٢) فيلبي، هاري سانت جون(٢٠٠٥). مرتفعات الجزيرة العربية، ج٢، ص(١٢٩٢).

في اليمن والمدن الواقعة في إفريقيا على سواحل البحر الأحمر نظرًا للتعامل التجاري بحكم قرب المنطقة. وتعتبر العشة بمواصفاتها المذكورة من أكثر المباني ملاءمةً لبيئة سهول تهامة، فجدرانها المقامة من جذوع وأغصان الأشجار لا تتأثر بحرارة الجو، كما أن ارتفاع سقف العشة يجعل الإنسان داخلها يشعر بظل مريح. وشكل العشة في الليث والقنفذة يختلف قليلاً عن مثيلاتها في جازان فقاعدتها رباعية في حين أنها دائرية في جازان [١]. بالإضافة إلى عدد قليل من المساكن التي بنيت إبَّان الحكم العثماني وحكم الأدارسة لهذه المنطقة تحمل الطابع التركي ذات الأفنية الداخلية المتشابهة مع مباني المغرب العربي؛ حيث الموطن الأساس للأدارسة[٢]. ثم يضيف فيلبي وصف لنوع آخر من العمارة غير العشش فيقول:" وعلى عكس هذه فإن أحسن المنازل كانت في الحي التجاري ذات واجهات فخمة مطلية بالجبس، وتدل على درجة عالية من الازدهار والتطور. توجد مساحة كبيرة خارج مباني الرئاسة الحكومية، تؤدي وظيفة المستودع للبضائع التجارية التي تترحل من البحر مع حاجز للماء. لتلقي حماية أكثر للميناء الداخلي للبواخر الشراعية الخفيفة التي تقوم بنقل مثل هذه البضائع من بواخر ترسو بعيدًا عن الساحل"[٣].

كما أورد بعض المعلومات عن بعض المراكز الحضارية على قارعة طريق الحج والتجارة من البرك، وكيف أن القش وسعف النخيل هو الأساس في بناء الكثير من المنازل هناك، فيقول عن البرك :"يتكون جزؤها الرئيس من

(١) وزارة الشؤون البلدية والقروية، وكالة الوزارة لتخطيط المدن، التراث العمراني في المملكة العربية السعودية، شعبان ١٤٢٣هـ/أكتوبر ٢٠٠٢م، ص(١٧٠)؛ انظر الملحق رقم (٢).

(٢) المرجع السابق، ص(١٧٠).

(٣) فيلبي ، هاري سانت جون(٢٠٠٥). مرتفعات الجزيرة العربية، ج٢، جـ٢ ،ص (١٢٩٢).

حوالي مئة من العِشش التي تشبه خلايا النحل، إلى جانب البناء المركزي للحكومة بلونه الأبيض، ويقع وسطه عدد من المنازل المبينة البيضاء من حولها، يقف هذا القسم من القرية فوق سلسلة حِمم بركانية منخفضة تطلّ على البحر، وعلى حافتها حقول قليلة تم إعدادها للزراعة، ويقع قسم آخر، وهو قرية صغيرة تشتمل على بعض المباني المطلية بالجبس عند سفح ربوة على يمننا، كان هناك إلى جانب هذين القسمين للقرية، القلعة التي تقف بارزة فوق قمة ربوة منخفضة، يقع خليج خور البرك على يسار القرية، وهو مرسى طويل محمي أكثر منه ميناء..."كما ذكر أن القنفذة "قرية كبيرة غير منتظمة أكثر منها بلدة، كانت عشش القسم الأكثر فقرًا من السكان ، على ضواحي القرية مهجورة وبائسة بما يفوق الوصف، وعلى عكس هذا فإن أحسن المنازل كانت في الحي التجاري ذات واجهات فخمة مطلية بالجبس. ربما لأن ساكنيها المندوبين للتجار الأوربيين المقيمين بجدة، والتجار من الهنود، الذين كانت لديهم من الإمكانيات والمقدرة المادية على استصلاح المنازل، كما جاء في الوصف السابق لدى فيلبي بأنها قريبة الشبه من المنازل بجدة ولكنها على أصغر.

يضاف لما سبق ظهور إشارات لتراجع فنّ وضع البناء مقارنة بالفترات السابقة، سواء على مستوى المبنى نفسه أو مواد بنائه، وهذا أثر على مظهر البلدة العام، والذي لم يكن متناسبًا مع ما توقعه الزائر الأجنبي من محافظة القنفذة التي كانت ذات تاريخ مهمّ خلال فترة الحكم العثماني، وقد سمع وقرأ عنها الكثير. وربما هذه سياسة الدولة العثمانية مع أغلب المناطق بشبه الجزيرة العربية التي تستولي عليها، فلم يظهر لنا أية مآثر عمرانية وتراثية خلال فترة حكمهم بعكس المناطق التي حكموها خارج شبه الجزيرة العربية التي شيدوا فيها المساجد والقصور والأسواق والتي لازالت شاهدة على الطراز المعماري العثماني، وربما كان الهدف هو الاستعمار

والاستغلال لخيرات هذه المناطق ومواقعها الاستراتيجية التي تساعد على الإشراف على الملاحة العالمية.

المساجد:

جاءت إشارة فيلبي الدينية للمساجد، فيقول: يوجد بالقنفذة ثلاثة مساجد(٥٧)، ولا توجد بها مبانٍ أخرى عامة ذات مغزى، وكان من أبرز قاطنيها في هذا الوقت من حيث الأهمية الدينية في شمال إفريقيا هو الشيخ محمد الأمين الشنقيطي [١]، رجل دين، لجأ إلى الجزيرة العربية أثناء الحملات الإيطالية في ليبيا، وعاش بعض الوقت في مكة، ثم دعاه الملك عبدالعزيز للبقاء في القنفذة بعد أن وظّف خطبه الدينية هناك على خطوط سياسية ضد الأوربيين لتجنيبه تبِعات هذا الاتجاه بلا نمط [٢]. وعمل بها بعض الوقت ثم ذهب إلى جازان مع أمير القنفذة، وأخيرًا استقر في بلدة القنفذة. أما عن حالة المساجد من الناحية المعمارية فلم تكن أسعد حظًا من بيوت ومنازل أهالي المحافظة، حيث يقول فيلبي عنها: "لفت أنظار الحضور إلى الحالة البائسة التي بدت عليه مساجد القنفذة في الأيام الأخيرة، وأن الحضور لأداء الصلاة

(١) مازال الجامع الكبير قائمًا حتى اليوم ويعود بناؤه إلى العصر العثماني بحسب رواية جماعة المسجد، وقد مرَّ بكثير من التوسعات والتجديد. مقابلة مع العم عمر مناجي الفقيه–القنفذة يوم الخميس ١٤٤١/٨/٣٠هـ، انظر الملحق رقم (٢).

(٢) محمد الأمين الشنقيطي: ولد بمدينة تنبه بموريتانيا عام ١٣٢٥هـ/١٧فبراير ١٩٠٥م، درس العلوم الشرعية، وفي عام ١٣٦٥هـ قدم إلى المملكة العربية السعودية لأداء فريضة الحج، فأهدى الملك عبدالعزيز له الجنسية السعودية، وتولى التدريس في دار العلوم بالمدينة المنورة عام ١٣٦٩هـ، ثم انتقل إلى الرياض عام ١٣٧١هـ، للتدريس في المعهد العلمي ، وكليتي الشريعة واللغة العربية ، وتولى العديد من المناصب في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ورابطة العالم الإسلامي، جاء إلى بلدة البرك عام (١٣٤٣هـ–١٩٢٤م) مكث بها فترة ليست بالطويلة، ثم توجه إلى جازان مع أمير القنفذة، ثم عاد إلى القنفذة حتى مات..
http://catalogue.bnf.fr/ark:/12148/cb16618362j.

فيها كان غير كاف وأن على الناس أداء الصلاة جماعة"[١]. يعبر فيلبي عن حال المساجد البائس من حيث عمارتها وقلة أعداد المصلين، وربما هذه دلالة كبيرة على عدم تهيأ المساجد للمصلين وسوء حالة بنائها، بالرغم البقاء الطويل للدولة العثمانية فيها و اتخاذها قاعدة للهجوم عل عسير وبلاد اليمن؛ حيث لم نشاهد أي بصمة معمارية تذكر لهم مثل البصمات والأثر المعماري لهم في بقية الدول والمدن التي مكثوا فيها، وهنا يعبر فيلبي عن شعور صدمته بالنسبة للمساكن والمساجد كما جاء في وصفه لبلد له أهميته ومكانته الاستراتيجية سياسيًا واقتصاديًا كبيرًا خدم منطقة الحجاز وأشرافها لابد وأن يكون به حضارة معمارية مثل التي تكون بمنطقة الحجاز، لاسيما وأن الدولة العثمانية تركت بعض الآثار والشواهد المعمارية في منطقة الحجاز.

(١) فيلبي: هاري سانت جون(٢٠٠٥). مرتفعات الجزيرة العربية، ج٢، ص(١٢٩٤).

الخاتمة

حظيت محافظة القنفذة بشهرة واسعة منذ أقدم العصور؛ ويعود ذلك إلى أهمية موقعها الجغرافي المتميز فضلاً عن موقعها الإقليمي ومركزها الرئيسي في حركة التجارة، إلى جانب أهميتها لمنطقة الحجاز، لذا فقد ورد ذكرها وبعض معالمها ودورها السياسي والتجاري في الكثير من كتب الرحَّالة ومنها كتاب الرحَّالة فيلبي مرتفعات جنوب غرب شبه الجزيرة العربية، كما رأينا في وصفه للمدينة وسكانها وطبائعهم. والحقيقة ما كتبه فيلبي يعد ثروة تاريخية، ومصدر من أوثق المصادر. ليخرج لنا مذكرات من بيان طيّات مؤلفات فيلبي وصف لأهم المدن والمحافظات في شبه الجزيرة العربية ومنها محافظة القنفذة، وقد توصّلت الدراسة لعدد من النتائج أهمها:-

١-لم يكن الدافع الشخصي وحب الاطّلاع أو الفضول، هو الوحيد عند فيلبي لزيارة القنفذة، وإنما كانت هناك دوافع أخرى سياسية واقتصادية.

٢-بيّنت الدراسة أن بلدة القنفذة كانت غير متطورة عمرانيًا، ربما لدور النكبات السياسية والكوارث الطبيعية التي عصفت بالمنطقة منذ بدايات القرن ١٣هـ/١٩م واستمرت إلى أواخر القرن ١٤/٢٠م و استمرت إلى أواخر القرن ١٤هـ/٢٠م أثّرت بشكل سلبي على تطورها.

٣-تبيَّن أن محافظة القنفذة ذات أهمية إدارية نظرًا لموقعها، وأسهمت كميناء شرق البحر الأحمر في إثراء الحياة التجارية في منطقتها وخارجها، لدرجة أن سمي أحد أسماء الشوارع بمكة المكرمة بها، واسم زاوية القنفذة على جزء من أرقى مواقع النشاط التجاري بقلب مدينة جدة، وهي نقطة تجمع تُجّار وتجارة "القنفذة" المكونة من البضائع إلى مدينة جدة.

٤-أثبت البحث أن التجارة والزراعة كانتا من أهم الفعاليات الاقتصادية في البلدة وذات أسواق عامرة بالبضائع المختلفة.

٥-تبين من البحث أهمية موقع القنفذة؛ فقد قامت بدور كبير في أهميتها السياسية والتجارية وتطورها ونموها الاقتصادي، فقد صارت تربط بين

الحجاز واليمن، وتُعد البوابة التي تشرف على اليمن، والدليل على ذلك إرسال الملك عبدالعزيز لفيلبي لزيارة المناطق الجنوبية، ونقل الصورة التي عليها الحدود السعودية اليمينة بعد اتفاق رسم الحدود بين البلدين.

٦-لم تشهد محافظة القنفذة خلال فترة الحكم العثماني نشاطًا عمرانيًا متميزًا؛ إذ إن معظم الأبنية العامة التي أشاروا لها كانت قد شُيدت في فترات سبقت فترة الحكم العثماني.

الملاحقُ

أولاً: الخرائطُ:

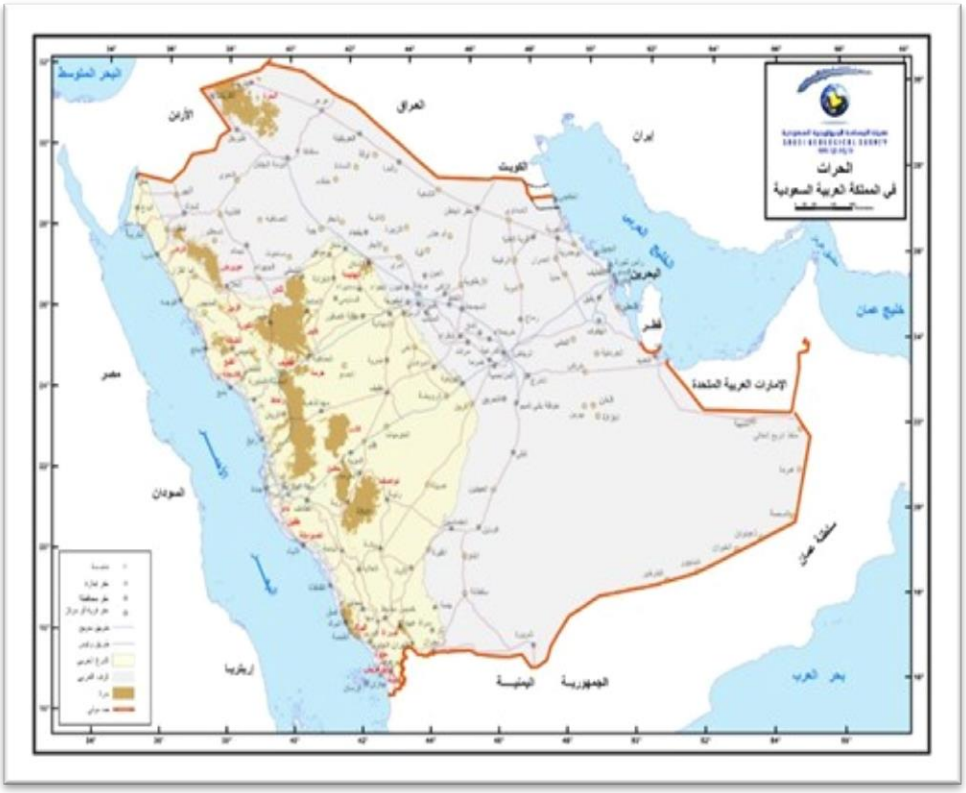

المصدر: أمارة منطقة مكة المكرمة

ثانياً: الصورُ:

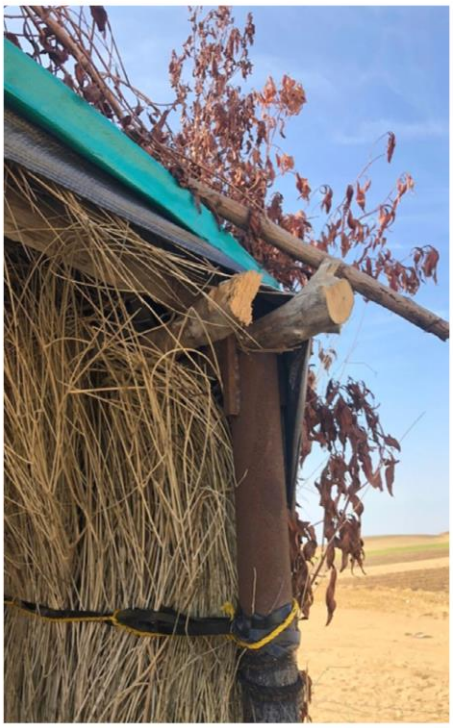

المصدر: سوق الزيالعة

المصدر:
https://twitter.com/Lines_in_hly/status/1205452791487115264?s=08

المصادرُ والمراجعُ

الوثائقُ:

- وثيقة رقم ١٤،المؤرخة في ١٩ محرم ١٢٥٣هـ، دفتر رقم ١٥٦ تركي مجلس ملكية، دار الوثائق القومية بالقاهرة.
- وثيقة رقم ٣٤٥/١٩٦٨٤- A "بشأن عزل الشريف غالب وإرساله إلى مصر، وتعيين الشريف يحيى بن سرور أميرًا على مكة المكرمة ، تاريخ ١٢٢٨/٧/١هـ ،الوثائق العثمانية ،دارة الملك عبدالعزيز، الرياض.

الكتب:

١- الأزرقي، محمد بن عبدالله بن أحمد (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م). أخبار مكة المشرفة ، مج١-٢،تحقيق رشدي الصالح ملحس، ط٣،دار الأندلس،بيروت.

٢- الأنصاري، أبوالحسن عي بن الحسن(١٣٣٢هـ/١٩١٤م). العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية: تحقيق:محمد بسيوني(د .ط) مطبعة الهلال، القاهرة.

٣- الأنصاري، عبدالرحمن؛ الراشد، سعد؛ والزيلعي أحمد؛ بنان، علي؛ الفراء، طه؛ والبهكلي، علي (١٤١٩هـ). المواصلات والاتصالات في المملكة العربية السعودية خلال مئة عام، دراسة توثيقيه، د. ط ، مطابع التريكي، ج٢. الرياض.

٤- البلادي، عاتق بن غيث(١٤٠٤هـ/١٩٨٤م).بين مكة واليمن رحلات ومشاهدات،ط١، مكة المكرمة، دار مكة للنشر والتوزيع، ص١٢٣؛ المنجد في اللغة:مادة بندر،ط٢٤، د.ت). دار المشرق، بيروت.

٥- بلسود، سميرة مبارك (١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م). موانئ تهامة و مراسيها (الليث/ القنفذة/ حلي/ البرك/ القحمة/ الشقيق/ جازان) ١١٧٩-١٣٥١هـ/١٧٦٥-١٩٣٢م، دراسة تاريخية حضارية"، ط١، نادي مكة الثقافي الأدبي، مكة المكرمة.

٦- بن جريس، غيثان بن علي(١٤٣٢هـ٢٠١١م). بلاد القنفذة خلال خمسة قرون (ق١٠-١٥هـ)، ط١، مطابع الحميضي، الرياض.

٧- تاميزية موريس(١٤١٤هـ /١٩٩٤م).رحلة في بلاد العرب الحملة المصرية على عسير،١٢٤٩هـ/١٨٣٤م؛ ترجمة وتعليق آل زلفة، محمد بن عبدالله ،ط١ ، مطابع الشريف.

٨- جون بولدرن، العمليات البحرية البريطانية ضد اليمن إبّان الحكم التركي (١٩١٤-١٩٩٩م). ترجمة السيد مصطفى سالم، (المطبعة الفنية" د. ت"، القاهرة).

٩- الحرشني، مبارك محمد (١٤١٣هـ/١٩٩٣م). النشاط التجاري لميناء جدة خلال الحكم العثماني ١٢٥٦هـ/١٨٤٠م-١٣٣٥هـ/١٩٢٦م، ط١،جدة:النادي الثقافي الأدبي.

١٠- الحلواني، سعد بدير (١٤١٤هـ/١٩٩٣م). تجارة الحجاز(١٨١٢-١٨٤٠م)، د .ط (د. م: د .ن).

١١- الحموي، أبو عبدالله ياقوت (١٤٠٤هـ/١٩٨٤م).معجم البلدان جـ٤، دار صادر، بيروت.

١٢- دو كورانسيه لويس ألكسندر أوليفيه(١٤٢٤هـ). تاريخ الوهابيين منذ نشأتهم حتى عام ١٨٠٩م، ترجمة محمد خير البقاعي ،(د. ط)، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض.

١٣- السباعي، أحمد(١٩٩٤). تأريخ مكة دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران، ج١،ط٧، مطابع الصفا، نادي مكة الثقافي، مكة المكرمة.

١٤- سليمان، عبدالحميد حامد(١٩٩٥م). تاريخ الموانئ المصرية في العصر العثماني، د. ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

١٥- شاكر، محمود(د.ت). شبه جزيرة العرب، ، (د. ط ، د.م)، عسير.

١٦- الشريف، عبدالرحمن صادق (١٤٠٤هـ/١٩٨٤م). جغرافية المملكة العربية السعودية، دار المريخ، الرياض.

١٧- العصامي عبدالملك بن حسين(د.ت) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي،ج٤، د.ط ، المطبعة السلفية، مصر.

١٨- العقيلي، محمد أحمد(١٣٨٩هـ-١٩٦٩م). المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية -مقاطعة جازان- المخلاف السليماني، ج١، د. ط ، دار اليمامة، الرياض.

١٩- الفقيه، حسن إبراهيم وآخرون: أضواء على كلية المعلمين بالقنفذة، الأربعاء ١٤١٧/١١/٣هـ إصدار إعلامي بمناسبة زيارة معالي وزير المعارف أ.د محمد بن أحمد الرشيد.

٢٠- فيلبي، عبدالله (يناير ٢٠١٤م).من وثائق المخابرات البريطانية ١٩٢٩-١٩٤٨م، نقلها للعربية حسن ساعاتي، جداول للنشر، ط١، بيروت.

٢١- ابن مسفر، عبدالله (١٣٩٨هـ/١٩٧٨م).السراج المنير في سيرة أمراء عسير، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٢٢- النهروالي، قطب الدين محمد أحمد(١٣٨٧هـ/١٩٦٧م). البرق اليماني في الفتح العثماني،ط١، دار اليمامة، الرياض.

الدوريات:

- الجاسر، حمد: "مقال بعنوان رحلات عن البلاد العربية "مجلة العرب عام ١٤٠٩-١٤١٠هـ، مج (٢٤) دار الوثائق القومية بالقاهرة: وثيقة رقم ١٤، المؤرخة في ١٩ محرم ١٢٥٣هـ، دفتر رقم ١٥٦ تركي مجلس ملكية.
- جورج رنتز" فيلبي مؤرخًا للمملكة العربية السعودية" ترجمة وتعليق حسين محمد الغامدي، مجلة الدرعية، السنة الأولى، عدد (٢)، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
- الفقيه، حسن إبراهيم. مقال بعنوان "القنفذة مدينة وتاريخ"، مجلة الفيصل، عدد (٥٢) س٥شوال ١٤٠١هـ/ أغسطس١٩٨١م).

المقالات الإلكترونية:

- H. Saint John Philby ، الموسوعة البريطانية .نسخة محفوظة 18 أغسطس ٢٠١٧.على الموقع https://www.britannica.com/biography/H-Saint-John-Philby؛
- http://catalogue.bnf.fr/ark:/12148/cb16618362j؛

المقابلات:-

- مقابلة مع العمّ عمر مناجي الفقيه-القنفذة يوم الخميس ١٤٤١/٨/٢٩هـ.
- مقابلة مع السيدة فاطمة علي العمري -حلي -القنفذة -يوم الخميس ١٤٤١/٨/٢٩هـ..

الفهـــرس

الموضوع	الصفحة
الملخص	١٠٥٠٧
Abstract	١٠٥٠٨
المقدِّمة	١٠٥٠٩
أهمية البحث	١٠٥١٠
أهداف الدراسة	١٠٥١٠
منهجُ البحْث	١٠٥١١
الدراساتُ السابقةُ	١٠٥١١
مشكلةُ البحث	١٠٥١٢
حدودُ البحث	١٠٥١٢
فرضيةُ البحث	١٠٥١٣
مسارُ الدراسة	١٠٥١٣
المبْحَث الأول: التعريف بالرحَّالة هاري سانت جون فيلبي (H. St. J. B. Philby)	١٠٥١٤
(حياته - رحلته – كتابه)	١٠٥١٤
المبْحَث الثاني: أهميةُ محافظة القنفذة	١٠٥١٨
(التسميةُ والنشأةُ)	١٠٥١٨
أولاً: التسمية والنشأة	١٠٥٢٠
النَّشأة	١٠٥٢٢
المبْحَث الثّالثُ: وصْفُ محُافَظة القنفذة في رحلة فيلبي	١٠٥٢٧
أولاً: الحياةُ الاقتصاديةُ لبلدة القنفذة	١٠٥٢٧
(السُّوق - التّجارة)	١٠٥٢٧
ثانيًا: تخطيطُ المدينة والتصميمُ العمراني	١٠٥٣٢
المساجد	١٠٥٣٦
الخـاتمة	١٠٥٣٨
الملاحـقُ	١٠٥٤٠
المصادرُ والمراجعُ	١٠٥٤٤